سم الجزيرة

خالد مطلك

تستطيع ان تشعل سيجارتك حال خروجك من مبنى قناة الجزيرة في قطر لتطفئها على سياج قاعدة السيلية الامريكية، هذا اذا كنت متجهاً نحو اليمين، اما اذا كانت وجهتك اليسار فإن جدران مكتب التبادل الاسرائيلي هي المكان المناسب لإطفائها.

وداخل هذا المثلث-قناة الجزيرة، القاعدة الامريكية، المكتب الاسرائيلي، تتشكل جغرافيا قطر السياسة. لكن عدسة الجزيرة القومية والتحررية لا ترى الا ابطالنا الملثمين وضحاياهم المرتجفين ذعراً لتشغل نفسها والعالم بهم.

انا شخصياً مع حرية الاعلام بدون ادنى تحفظ، لكني ضد الجزيرة دون ادنى شعور بالذنب، فهذه المحطة عدوى تلحق الضرر ببلدنا وشعبنا، محطة مشبوهة تبث سموماً قومية من داخل المثلث الذي ذكرنا، لا استطيع ان ابين بدقة لماذا، لكني لا استطيع ان اجزم انها تستهدفنا حاضراً ومستقبلاً واية قراءة متأنية لشريط اخبارها المتحرك سوف تكشف عن كمية السم الذي تدسه في عسل المهنية والحرفية.

هذه القناة المسخ التي لا تشبه الارض التي تقف عليها ولا تشبه سياسات مموليها من ابناء العائلة المالكة تشبه فقط بيانات الكاسيتات والاشرطة السود التي تبثها في مونديال ما يسمى بالسبق الصحفي.

لماذا ممولوها امريكيون بل اسرائيليون حتى في احلامهم وقوميون في الجزيرة فقط يتباكون على دكتاتورنا وقتلتنا ومروجي الرعب الاسود في عراقنا.

اغلقوا مكتب الجزيرة فإن كل حرية اعلام العالم لا تساوي قطرة دم لطفل عراقي تذبحه عبوات الجريمة على ثرى العراق.

اغلقوا مكتب الجزيرة الى الابد واغلقوا مكتب كل اداة لترويج الرعب تدير مؤخرتها عن البلد الذي تنطق منه وتفتح عيونها على رافعي الرايات السود في ارض السواد.

هل تبقى الثقافة في ذيل اهتمامات الدولة؟

عبد الزهرة زكي

لأسباب عملية سأتفادى مناقشة مفهوم المثقف، وهو مفهوم سيظل قابلاً للنقاش ومحتملاً لاختلافات مفتوحة ومتعددة بتعدد زوايا النظر الى المثقف والثقافة وصلتهما بالتاريخ والمجتمع والحضارة. ان الطابع الخاص للراهن العراقي يفرض هذه الاسباب العملية : انهيار تام لدولة قديمة نريد لقيمها ان تنهار وتموت معها.. ومشروع جديد ببناء دولة جديدة، نأمل ان تنهض معها قيمها الجديدة. وبين موت الدولة القديمة وفرص نهوض الدولة الجديدة، تبدو الوسائل الاجرائية أكثر مدعاة للاهتمام من القضايا النظرية التي يقع داخل حدودها الاختلاف حول مفهوم المثقف.

بالتأكيد ليس هذا احتقاراً للنظرية وازدراءً ولأهمية تحديد المفهومات وضبطها نظرياً ومن ثم الانطلاق في الاجراءات العملية ولكن هذا ينطلق من الثقة في ان الحرية التي نمتع بها انفسنا ستسمح بتطور انماط التفكير والاختلاف فيه، وبما يسمح ضمناً بتعدد محتمل في وجهات النظر ازاء المفهوم الواحد، مفهوم المثقف والثقافة مثلاً، وهما مفهومان سيظلان متغيرين قابلين للتعدد كلما اتسع فضاء حرية التفكير والاختلاف، ولن يثبتا في مفهوم قسري واحد الا في ظل نمط من التفكير الشمولي الذي يحتكر التصويب والتخطئة ولا يبيح اكثر من صواب واحد.

اعتقد ان اجراءً عملياً واساسياً يفرض نفسه في الوضع العراقي الراهن ذلك هو النهوض بمؤسسات العمل الثقافي وتغييرها. انه اجراء يسير بتوازٍ مع عمل الافراد والمجتمع، يحتاج الى سياسة تنموية واجراءات تخطيطية هي مما يثري او يؤخر عمل المؤسسات من جهة وعمل الافراد المثقفين من جهة اخرى. اننا في دولة حديثة (بمعنى انها قائمة في عالم حديث) وتشكل شبكة المؤسسات ونظم ادارة الدولة للثقافة مركزاً جوهرياً في انتاج الثقافة وصناعتها. في دولة حديثة لا يمكن اعفاء الدولة من هذه المسؤولية، مسؤولية تخليق مؤسسات راقية، ومسؤولية رعاية انتاج الثقافة وعمل المثقفين.

هذه مسؤولية الدولة.. ولكن تحرر المثقفين من قبضة الدولة وطغيان مؤسساتها هو عمل المثقفين ومسؤوليتهم.. وهو عمل تتفاداه الدول بالمزيد من الحريات التي توفرها للمجتمع و بالمزيد من الرعاية التي تسبغ بها على عمل الثقافة وليس بالتنصل عن مسؤولياتها. ليس من مسؤولية الدولة ان تفكر بالنيابة عن المثقفين انفسهم وتقول ينبغي للمثقف ان يعمل فرداً حراً وبنشاط حر. ما ينبغي للدولة هو ان تذهب الى اكثر المثقفين حرية وتمرداً وترعى حريته وتمرده سواء داخل مؤسساتها او خارجها.

ولكن هأنذا اقلب الصورة. ففيما انا انتقد الدولة التي تريد ان تفكر بالنيابة عن المثقف، اعود فاسمح لنفسي بالتفكير نيابة عن الدولة واعرفها بواجباتها ومسؤولياتها.

اؤمن، وفي تجربة تاريخية كالتي نحيا، ان مسؤولية المثقفين العراقيين تنشطر، بمفارقة غريبة لا تعادلها الا غرابة تلك التجربة التاريخية، الى مهمتين تبدوان متعارضتين للوهلة ولكنهما تتكاملان في المآل الاخير: مهمة الاسهام في بناء الدولة الجديدة والعمل على تقوية مؤسساتها من جهة ومن جهة اخرى العمل على تأكيد قيم المجتمع المدني وممارستها بما يضعف هيمنة الدولة واستبدادها وطغيانها.

مثل هاتين المهمتين هو ما يجعل من كلامي وتراً مشدوداً بين انحيازي العميق لحرية المثقفين وعملهم الثقافي وبين مطالبتي الشديدة بتخليق مؤسسات ثقافة قوية وراسخة.

من المؤسف ان الدولة الجديدة بدأت اولى ميزانياتها السنوية بوضع الثقافة (من خلال وزارتها) في ذيل قائمة موازنتها، وهو امر يدفع الى الارتياب من مستقبل النظر الى الثقافة اكثر مما يدفع الى التفكير بتدبر امر ميزانية السنة الحالية. ولكن ما يؤسف له اكثر ان المثقفين العراقيين لم ينظروا في غمرة انشغالات الامن و المعيشة الى الامر بالجدية التي تتطلب في ما تتطلبه الاحتجاج بكل اشكاله على سلطة الاحتلال التي وضعت الميزانية وزجت وزارة الثقافة (وزارات اخرى) في مشكلات هي خارج اهتمام هذه الورقة وهذه المناسبة (مشكلات اعادة المفصولين السياسيين مثلاً).

في دولة يقوم اقتصادها بشكل اساسي على عائدات النفط لا يمكن النظر الى عدم البذخ في الانفاق الثقافي الا على انه خلل خطير يهمل الثقافة ويحتقر عملها. وعلى هذا فإن جميع مؤسسات الثقافة القائمة والتي ينبغي ان تقوم في البلاد يجب ان تتحرر من السياسة الرديئة التي فرضها نظام صدام حسين في التسعينيات، سياسة التمويل الذاتي، ينبغي على الدولة دعم ورعاية جميع تلك المؤسسات واعتبار عملها شكلاً اساسياً من اشكال التنمية الاجتماعية، وكما يحصل في مجالات التعليم والصحة والخدمات، ان ما يفرض هذه التنمية المدعومة بقوة من قبل الدولة هو العمل اللازم لردم هوة التخلف التي فرضتها السياسات الشوهاء للنظام المنهار من جانب وصنع صورة المستقبل الذي نريد من جانب آخر. ولا يمكن كل هذا من دون تدخل داعم قوي من قبل الدولة. ينبغي ان نتذكر هنا ان السلطة السابقة حين فرضت نظام التمويل الذاتي فإنها وضعته في ظروف الحصار، وما تضرر منه فعلاً هو العمل الثقافي الحقيقي، ذلك ان الدولة استمرت في دعم ثقافتها التي كانت تريد بعيداً عن الامكانات الشحيحة لمؤسسات التمويل الذاتي. واذا اخذنا دائرة الشؤون الثقافية مثالاً فسنلاحظ ان تمويلها الذاتي كان قائماً بشكل اساسي على ما يدخلها من ديوان الرئاسة في دعمه السخي لنمط معروف من الانتاج الثقافي وكذا الحال بالنسبة للسينما والمسرح التي لجأت الى فتح مسارحها لنمط من الابتذال الرخيص، فيما بقيت الاعمال التي تريدها الدولة (ديوان الرئاسة او جهاز المخابرات) تنعم بميزانيات خاصة ترد الى الدائرة من الديوان او الجهاز. وانسحقت دوائر اخرى لا تشكل شيئاً في اهتمام الحكومة تحت وطأة نظام التمويل الذاتي. كما يجب الانتباه الى ان انفاق جميع ايفادات الخارج كانت تصرف من البنك المركزي بأمر ديوان الرئاسة بعيداً عن موازنات التمويل الذاتي.

سيتعدى عمل الدولة في السنوات المقبلة، كما نطمح، حدود دعم مؤسسات وزارة الثقافة الى تمكين الوزارة من دعم النشاط الخاص والاستثمار في مجال الثقافة وتشجيع مبادرات المثقفين الى تكوين تجمعاتهم ومنظماتهم وورش عملهم.وهذا مايتطلب خططا وبرامج ستراتيجية تضعها الوزارة بالافادة من اراء ومقترحات النخب الثقافية ،وتوليها الدولة الاهتمام الذي تستحقه الثقافة في المشروع العراقي الجديد .

*نص الورقة التي قدمها الشاعر في ندوة (المثقفون .. ادوار ومسؤوليات) التي نظمتها وزارة الثقافة الاحد الماضي.

بمناسبة مرور ١٤ عاما على رحيله

الروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان عاش ومات في المنفى لكنه لم يبرح الوطن

طالب عبدالأمير

الحديث عن الروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان، الذي يصادف السابع عشر من آب، اغسطس من هذا العام، مرور الذكرى الرابعة عشرة على رحيله في المنفى، لا يمكن أن يكون حديثاً يتمحور فقط حول ذكرى أديب كبير وأحد أعمدة ثقافتنا العراقية الاصيلة الذين غيبتهم المنافي، ارتحلوا وهم يتكورون كالحمائم على حب الوطن، حيث القائمة تطول ونعرف من أين نبتدىء بها ولاننتهي، فإلى جانب غائب..

هناك شمران الياسري، الظاهرة الفريدة في أدبنا السياسي الشعبي، والجواهري والحيدري ومصطفى جمال الدين والكثيرون الكثيرون غيرهم، بل أن الحديث عن غائب يجعلنا نقف عند ظاهرة الكتاب والفنانين العراقيين الذين وجدوا انفسهم قسرا في لجاجة المنفى، الذي عاشوا فيه سنوات طوال أجسادا متحركة، لكن خلجاتهم ظلت نابضة بدفق التواصل الحسي مع وطنٍ غصبوا على الابتعاد عنه. وما من شك في أن عدداً من الكتاب الذين أجبروا على ترك أوطانهم والعيش في المنافي حملوا معهم أمتعة سفرهم الطويل فرشاة ودواة وزاداً لدرب الغربة. وهذا الزاد هو تلك الذكريات التي تقاسموها مع أولئك الأحبة الذين تركوهم هناك وتلك الأماكن التي جمعتهم سنوات طوال تحت سماء الوطن الأم. وكلما إشتد المنفى بالكاتب، تجده يهرع الى خزانة ذكرياته ليخرج من صرتها نايه القديم ويبدأ العزف، فيستيقظ الزمن من رقاده وتنتصب الذاكرة بئراً يغوص الكاتب في أعماقه، ليروي ظمأه وليستلهم من خزينه مادة لعمله الابداعي. قد يكون هذا الشيء عاماً ومشتركاً عند أغلب الشعراء والكتاب الذين تركوا أوطانهم وسكنوا المنافي والبلاد الغريبة. ولكن الشيء الخاص المتفرد هو أن لايفا رق المرء ناي ذكرياته ولو للحظة، كطفلٍ عنيد يرفض الفطام، أن يعيش في وطنه وهو بعيد عنه آلاف الاميال. هكذا كان الروائي الكبير غائب طعمة فرمان في علاقته بالمكان. كما أحسسته من خلال شخصيات رواياته وقصصه المتعددة. ومن خلال معايشتي له عن قرب عدة أيام.

التقيت غائبا في مطار بلغراد في اكتوبر من عام ١٩٨٨ سوية مع الشاعر سعدي يوسف وزوجته أم حيدر. كنت اسهمت في دعوة غائب للقاء اكتوبر السنوي الذي كان يقيمه اتحاد ادباء صربيا ويحضره كتاب من مختلف انحاء العالم، وكانت موضوعة لقاء ذلك العام حول (الكتابة في المنفى) ومن كان يمثل كتاب العراق وفي المنفى اكثر من اديب مبدع عاش اربعة عقود من عمره بعيدا عن وطنه، لكن جل ماكتبه يدور حوله وفيه أكثر من غائب. كان احتفاء جميلا في اتحاد ادباء صربيا بمبدع عراقي اصيل رفض، ومئات مثله، قمع النظام وحروبه، في وقت كانت ماكنة اعلام ذلك النظام تحاول، وعبر سفاراته، ان تشوه سمعتهم وتبرز كتابها ومرتزقتها من اشباه الكتاب الذين كانوا يمجدون حروب الطاغية، فتعرف المشاركون في لقاء اكتوبر عام ١٩٨٨ على الوجه الآخر الناصع للثقافة العراقية وعلى واحد من اهم رموزها.

كان فرمان يتحدث عن الوطن والذكريات والناس وتفاصيل الحياة اليومية، التي تبخرت في أذهان الكثيرين، كما لو أنه غادر العراق بالأمس وليس كل حفنة السنين تلك التي كادت أن تتم عقوداً أربعة. كان قد ابتعد عن وطنه جغرافياً وجسداً فقط، لكنه لم يغادره لحظة. فكل خلجاته وأحاسيسه وكل نبضة من قلبه تستلهم إيقاعها من نبض العراق. مرة سأله الكاتب المسرحي السوري الراحل سعد الله ونوس، وهما يتجولان في شوارع موسكو، عما اذا كنت أيها الغائب قد عشت في مكان آخر غير العراق! أجابه غائب:(لا لا أظن أنني عشت حقاً في مكان آخر، أنا دائما في العراق..).

نعم أنه لم يغادر العراق رغم أنه عاش حوالي أربعين عاماً بعيداً عنه، فأعماله الادبية الرائعة كتب جلها في المنفى: (النخلة والجيران)، (خمسة أصوات)، (المخاض)، (القربان)، (آلام السيد معروف)، (ظلال على النافذة)، (المركب) (أو أم الخنازير- أسمها الأصلي الذي أراده لها غائب)، كلها تتحدث عن العراق، عن زنوبة اليتيمة والسيد معروف وحمودي العربنجي وحسيبة المظلومة وسليمة الخبازة ونخلتها الشائبة وعشرات الاسماء التي الفناها في درابين بغداد وأحيائها الفقيرة، التي ينتمي اليها غائب.

(لا أعتقد أن كاتباً عراقياً كتب عن بغداد كما كتب غائب) هكذا قال عنه الروائي العربي المعروف عبد الرحمن منيف، في حفل تأبينه بدمشق عام ١٩٩٠، (.. وربما لو أردنا أن نعود للتعرف على بغداد في أواخر الاربعينيات والخمسينيات لابد أن نعود الى ماكتبه غائب.... أن رائحة المكان في النخلة والجيران، وملامح الناس في خمسة أصوات، وهموم الفقراء والمتقاعدين في آلام السيد معروف، لايمكن أن نجد مايماثلها في كتب التاريخ وفي صحف تلك الايام وفي أدبيات الاحزاب السياسية).(مجلة البديل عدد ١٧، دمشق ١٩٩١).

لم يكتف فرمان بإعادة رسم ملامح الناس الذين عايشهم، في رواياته فحسب، بل تغلغل الى داخل أعماقهم وصوّر ما يتميزون به من مكنونات دفينة. فحينما كان يرسم شخصية لرواية من رواياته، فهو يستوحي سماتها من شخصية عايشها وعرف حقيقتها. كما هو الحال مع (شريف) في رواية (خمسة اصوات) التي جاءت تجسيداً لصورة حسين مردان، الشاعر المتمرد الذي عاش البؤس والتسكع، ولكن الابداع أيضاً. (أيام كان يجوع وليس لديه ثمن علبة سجائر، حين كان يقضي ليلته، أحياناً، نائماً على مصطبة في شارع أبي نؤاس أو في مكان لايختلف عنه كثيراً)كما كتب عنه غائب في الذكرى السابعة عشرة على رحيله (الثقافة الجديدة العدد ٢١٤ تشرين أول ١٩٨٩). غائب إتخذ من شخصية حسين مردان رمزاً (للمثقفين العصاميين في العراق، أبناء عوائل كادحة، وآباء مغمورين). وحين إكتشف حسين مردان نفسه في الرواية عندما قرأها قال أن (شريف) شبيهه، مع فارق واحد إعترض عليه الشاعر، لأن روائينا غائب أضاف الى ملامح الشخصية الواقع علاقة لم تكن لها وجود في حياة مردان، وهي (المومس)، في حالة شريف، شخصية الرواية. ويعلق غائب على ذلك بالقول: (لقد وجدت في ذلك ضرورة فنية) أو (روائية)، لأظهر ذلك التناقض العنيف الذي كان يطحن حسين مردان الطموح الى ماهو نقي صاف، وواقع الحياة المعاشة بما فيها من قذارة وبؤس وحرمان، ووقوع في الخطيئة عن إضطرار.

حينما صدرت لغائب (النخلة والجيران) عام ١٩٦٦ أولى وأشهر رواياته، إحتلت في الحال مكانتها المتألقة في الرواية العراقية ، عرضتها خشبات المسارح والتلفزيون مراراً، ونالت رواجاً كبيراً ليس في أوساط متتبعي الأدب فحسب، بل وبين الناس الذين لا علاقة لهم بالأدب أيضاً. ففيها يتحدث عن معاناة الناس البسطاء وحرماناتهم، عن تسلط الواقع الاجتماعي السئ على سلوكياتهم، عن الكدح والضنى والتحايل والافلاس، شخصيات تدور في رحى واقع مرير، صورتها ذهنية كاتب مبدع ملتزم أضفى عليها حركة رد فعلي عفوي وتمرد على هذا الواقع المليء بالبؤس والحرمانات، ولكنه المشحذ بالتحدي والسخرية من الحكام وأسيادهم المستعمرين الإنكليز آنذاك.

في مقدمته لطبعة جديدة من الرواية، صدرت عام ١٩٨٨ عن داري (بابل) و(الفارابي) ضمن أعمال غائب طعمة فرمان الكاملة، كتب الناقد الفلسطيني فيصل دراج (لا تبحث) (النخلة والجيران) عن شهادة كاتب أو صك غفران، فما هي جديرة به يقوم في سطورها، وسطورها لا تستعير المديح. تحتل هذه الرواية موقعاً ريادياً في الرواية العراقية. ومكاناً طليعياً في الرواية العربية، وهي إحدى الروايات القليلة، الجديرة بصفة الواقعية، على الرغم من إنتشار هذه الصفة في الأمس واليوم. فكأن رواية غائب كانت علامة في مسار الرواية العراقية بقدر ماكانت علامة في تطور الرواية العربية الباحثة عن الواقع.

كتب غائب هذه الرواية في موسكو، لكن فكرتها بدأت في القاهرة، وتابع فكرتها في الصين، أي أنه فكر بها وأنجزها بعيداً عن العراق، في أوساط وبيئات تختلف كلياً عن الوسط الذي عاشه ونسج منه خيوط روايته التي يقول غائب عن كتابته لها : (نسيت كل ما حولي وأستحضرت الماضي بكل مافيه من صور وانطباعات في ذاكرتي، وبدأت أكتب عن المحلة التي عشت فيها، عن الناس الذين عاشروني أيام تفتحي الذهني، عن الزمن العصيب الذي عشنا فيه، نحن الذين فتحنا أعيننا على عالم الحرب العالمية الثانية، عالم البؤس والتقشف والحرمان..) د. أحمد النعمان: غائب طعمة فرمان - أدب المنفى والحنين الى الوطن، دار المدى ١٩٩٦.

لم يكن الكاتب مجرد راوٍ لأحداث عاشها في فترة ما، إنطبعت في ذاكرته ثم إستحضرها بعد سنوات، بعيداً عن أجوائها ومحيطها وأرضها ليسطرها في رواية، بل أنه سكب فيها شيئاً من أحاسيسه وإنتمائه للمكان، ربط فيها بين موقفه الفكري من الاحداث والشخصيات وبين المواقف السياسية لشخوصه بأسلوب أدبي راعى فيه البساطة وجمالية التعبير دون الوقوع في دائرة الطرح السياسي المباشر التي يتميز بها الكثير من القصاصيين والروائيين العرب. وهذا سر نجاحه الفني، في أقل تقدير. غير أن حساسية الاحداث التي مر بها العراق فرضت نفسها على العمل الأدبي العراقي، مهما حاول الأديب الابتعاد عن المباشرة في السياسة، ويبقى ذلك حسب فهم القارئ ودرجة قربه من الحدث، وحسب دراسة الناقد والمحلل الفني للمادة الابداعية. فحول روايته (المخاض) يجمع بعض النقاد على أن غائب إنحاز فيها الى السياسة بشكل صارخ، على خلاف قصصه ورواياته الأخرى. وكان رد غائب على ذلك هو أن الفترة التي تتحدث عنها الرواية كانت سياسية عاصفة، ففي مقابلة أجريتها ٥٦و٥٧، حين كان العراق يعربد فيه الجلاد نوري، وبغداد - عاصمتنا وعاصمة أجدادنا - مباحة للمتآمرين وذوي النوايا السود، جنرالات حلف بغداد المقبور، والشعب العراقي كان يعض بالنواجذ حقداً على الخونة، والراكبين في ركاب الخونة، وتذمراً وتأهباً لمعركة الشرف والحياة والحرية. وإذ ذاك نحن الذين كتب علينا أن نعيش خارج العراق، نترقب أخبار الوطن بلهفة، ونتحدث عنها بشوق في جلساتنا وخلواتنا مع أنفسنا، ونجعل كل كلمة فيها تنبض بالدم. وأخبار الاستبداد كنا نضطرم لها غيظاً، ونقول أنها تشث من يصارع الموت، وأخبار المعارك والانتصارات كنا نرقص لها طرباً، ونغني لشرفها الاغاني والاناشيد، ونعتبرها خيوط الفجر الاولى. في تلك الفترة كتبت هذه القصص، وبعضها كتبته في ظرف لاستقرار فيه، فقد فرغت من كتابة إحداها على مسطبة في أحد شوارع دمشق، في يوم من أيام كانون الثاني القارس البرد، وأنا شبه مشرد....).

وبعد.. بعد ٢٤ عاماً على أصدار الطبعة الاولى من مجموعته القصصية تلك، جدد غائب طباعتها، فصدرت الطبعة الثانية عن دار الهمداني في عدن عام١٩٨٣، وفي مقدمة الطبعة الجديدة كتب مستغرباً:

(أليس غريباً، وأنا أهم بكتابة كلمة قصيرة للطبعة الثانية من هذه المجموعة، بعيداً عن الوطن أن أقرأ، في مقدمة طبعتها الأولى قبل ٢٤ عاما بالتمام والكمال، هذه العبارة الموجعة:

كتبت هذه القصص وأنا بعيد عن العراق، في أعوام ٥٥، ٥٦ و٥٧، حين كان العراق....

أربع وعشرون سنة، ربع قرن إلا سنة، مرت كالحلم - الكابوس، دارت الدنيا فيها أربعاً وعشرين دورة على حيوانات مختلفة الطالع، حسب أسطورتنا الشرقية، والعالم الذي أكتب عنه مازال يعاني).

نعم، لقد كتب هذا غائب في عام ٨٣ للمرة الثانية، أي، قبل واحدا وعشرين عاماً، ولو جمعنا كل تلك السنوات لرأينا بأن الدنيا دارت اربعاً واربعين دورة، منذ أن نشر غائب قصص مجموعته الثانية بعيداً عن الوطن، فماذا كان يقول غائب لو كان كتب مقدمة جديدة لمجموعته القصصية تلك أو للقصص والروايات التي ألفها لاحقاً بعيداً عن الوطن.. مع بداية الالفية الثالثة ماذا كان سيكتب غائب ، قبل ان ينهار الكابوس الخرافي الذي كان جاثماً على قلوب العراقيين سنوات طوالاً. وبدلاً من بضعة منفيين في فترات الستينيات والسبعينيات بلغ العدد أكثر من اربعة ملايين ونصف المليون لاجئ ومغترب عراقي.

ولد غائب طعمة فرمان ببغداد عام ١٩٢٧ من عائلة كادحة بسيطة، وبعد معاناة وحرمانات كبيرة استطاع ان ينهي دراسته الثانوية في العراق ومن ثم كلية الآداب في القاهرة. في بداية نشاطه الادبي نظم غائب الشعر، وهي فيما يبدو ظاهرة عامة تقريباً عند الكثيرين من كتاب الأدب النثري، ان صح التعبير. فهم يبدأون عالمهم الأدبي بنظم الشعر. نشر فرمان اولى قصصه القصيرة عام ١٩٤٥ ، بعنوان (حفار القبور)، في مجلة عربية كانت تصدر في القدس وتسمى (الزهراء). ثم عمل، خلال دراسته في مصر، في مجلة (الرسالة)، التي كان يرأس تحريرها الكاتب أحمد حسن الزيات. وهناك التقى محمود عباس العقاد وزكي مبارك ونجيب محفوظ الذي ظل يحضر مجالسه بانتظام. نشر غائب في تلك الفترة عدداً من القصص القصيرة منها (مصرية في العراق)،(قلب محروم)، (بيت الذكريات)، ثم وبعد عودته من الدراسة في مصر الى العراق، عمل غائب في صحافة (الحزب الوطني الديمقراطي) فكتب عدداً من القصص التي ضمتها مجموعته القصصية الاولى (حصاد الرحى) التي أصدرها ببغداد عام ١٩٥٤، ثم مجموعته الثانية (مولود آخر) عام ١٩٥٩. وفي عام ١٩٦٦ أصدر غائب روايته الاولى (النخلة والجيران) وتوالت بعدها رواياته (خمسة أصوات) التي أنتج منها الفنان العراقي الراحل جعفر علي فيلم (المنعطف)، ثم اصدر المخاض و (القربان)، و(ظلال على النافذة)، و(آلام السيد معروف)، وهي رواية قصيرة ومجموعة قصص، (المرتجى والمؤجل) وآخر عمل روائي له (المركب). ولغائب مؤلفات أخرى مثل (قصص واقعية من العالم العربي) بالاشتراك مع الكاتب المصري محمود أمين العالم، و(لاشين عملاق الثقافة الصينية)، اضافة الى ترجماته، التي بلغت عشرات الكتب، لعمالقة الادب الروسي، أمثال ليف تولستوي، ديستوفسكي وغيرهما.

في السابع عشر من آب عام ١٩٩٠، وفي العاصمة الروسية موسكو، التي عاش فيها حوالي نصف حياته، توقف قلب روائينا الكبير غائب طعمة فرمان آسفاً على حلمٍ لم يتحقق.